

أزمة القيم وفكرة التواصل في الجزائر

شطاح خيرة. طالبة دكتوراه

جامعة وهران 01.

د. عيساني محمد: المركز الجامعي تيسمسيلت

مقدمة:

تعد القيم واحدة من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث، ولا سيما مع تنامي موجات العولمة، وما رافقتها من تطورات هائلة في مجال المعلوماتية وما أحدثته من تأثير في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام، والنسق القيمي بشكل خاص، فهناك من يعتقد أن القيم ثابتة لا تتغير، ولم تتأثر بالتغيرات التي حدثت، وبالتالي بقيت منظومة القيم في سياقها المحلي، والعربي، والإسلامي، ولم يطرأ عليها أي تغيير أو على معاييرها. وهناك آخرون لهم رأي آخر إذ يشيرون إلى أن هذه التغيرات أثرت على النظام الاجتماعي العام وبالتالي على المنظومة القيمية.

فعمر الإنسان وهو ينتقل من الألفية الثانية إلى الألفية الثالثة يمر بالحقة النقدية لما يتسم به من نزعات التحليل والنقد والتشكيك والفوضى الفكرية⁽¹⁾، فلا غرو أن يكون ذلك سبب في ظاهرة أزمة القيم وأزمة في التواصل الاجتماعي داخل المجتمع الواحد. وكبدية للموضوع وجب علينا تحديد المفاهيم التي سنتناولها في هذا الموضوع. وهي مفهوم القيم والتواصل الاجتماعي اللذان يرتبطان عضويا فيما بينهما بحيث لا تتصور توصالا بدون قيم ولا قيا بدون بعد تواصل لها

القيم: تعد دراسة القيم من الدارسات ذات الأهمية الكبرى في العلوم الاجتماعية، كونها تهدف إلى التعرف على النسق القيمي السائد لدى جيل من الأجيال، أو لدى فئة من الفئات، مما يعني التعرف على موجهات العقل الاجتماعي، والتعرف على المبادئ التي تتمسك بها تلك الفئة صراحة أو ضمنا، وبعد النسق القيمي بمثابة أحد رموز المجتمع وصره في عقول أفرادها، هو الإطار المرجعي الذي يوصل العقل الاجتماعي بغاياته وأهدافه.

ضبط ولومان المعاني المختلفة لمفهوم القيمة في شتى المجالات منها أن القيمة تشير إلى كل ما هو جدير بالاحترام والتقدير من الفرد أو الجماعة في البيئة الاجتماعية، ويختلف هذى التقدير باختلاف موضوع القيمة.

أما كارين أوينز فتري أن القيم هي أفكار معيارية توجه السلوك وتزوده بمعايير خارجية وداخلية على نحو ما يكافئ الناس من اجله وتزود السلوك بالأساس الأخلاقي،⁽²⁾

في حين يعرف ساجيف وشوارتز القيم الإنسانية على أنها أهداف مرغوبة تتباين أهميتها، وتقيد كبدائ توجيهية في حياة الإنسان. ويعرفها عبد اللطيف خليفة على أنها مجموعة من الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل للموضوعات أو الأشياء، وذلك على ضوء تقييمه أو تقديره لهذه العملية من خلال التفاعل بين الأفراد بمعارفه وخبراته، وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف، أما محي الدين احمد حسين فيرى أن القيم هي مفاهيم تختلف بغايات يسعى إليها الفرد، كغايات جديرة بالرغبة، سواء كانت هذه الغايات تطلب لذاتها أم لغاية ابعدها وتظهر من خلال التفاعل بين الأفراد بمحدداته الخاصة وبين نوع اختيار توجه معين في الحياة، يراه جديرا بتوظيف إمكاناته المعرفية والوجدانية والسلوكية⁽³⁾.

فالقيم خاصية من خصائص المجتمع الإنساني فلا يوجد مجتمع بدون قيم وتختلف من مجتمع لآخر ومن مجال إلى مجال.

خصائص القيم: تمتاز القيم بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من المفاهيم الأخرى كالحاجة، أو كالدافع، أو المعتقد أو الاتجاه، أو السلوك، ويمكن إجمال أهمها فيما يلي:

- إنسانية: بمعنى أنها تختص بالبشر دون غيرهم، وهذا ما يميزها عن الحاجات التي تخص البشر وغيرهم.
- غير زمنية، أي غير مرتبطة بزمن معين: فالقيم إدراك يرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، وهي بهذا المعنى تتعد عن معنى الرغبات أو الميول التي ترتبط بالحاضر فقط

- أنها تمتلك صفة الضدية: فلكل قيمة ضدها مما يجعل لها قطبا إيجابيا، وقطبا سلبيا، والقطب الإيجابي هو وحده الذي يشكل القيمة في حين يمثل القطب السلب ما يمكن أن نسميه ضد القيمة، أو عكس القيمة
- المعيارية: بمعنى أن القيم تعتبر بمثابة معيار لإصدار الأحكام وتقييم وتفسير وتعلل من خلالها السلوك الإنساني.
- أنها نسبية: أي أنها ليست مطلقة، بل تمتاز بالثبات النسبي وهي تختلف من مجتمع لآخر تبعا لعوامل المكان والزمان والثقافة والجغرافيا والأيولوجيا.
- أنها متعلمة: أي أنها مكتسبة من خلال البيئة وليست وراثية، بمعنى أنه يتم تعلمها واكتسابها عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة
- أنها ذاتية: بمعنى أن وزن القيمة وأهميتها يختلف من فرد لآخر⁽⁴⁾.

تصنيف القيم:

شكل موضوع تصنيف القيم في مجموعات وفقا لإبعاد ما. موضع اهتمام العديد من علماء الاجتماع وعلى الرغم من صعوبة تصنيف القيم، إلا أنه من الضروري بمكان تصنيف هذه القيم لممكن فهمها وتسهيل دراستها، ومن أهم التصنيفات في مجال القيم نجد:

حسب المحتوى: فقد صنفها سبرنجر Spranger في كتابه أنماط الرجال إلى ستة أنواع هي قيم نظرية وتعبير عن اهتمام الفرد الزائد وصله لاكتشاف الحقائق والمعارف من أجل تحقيقها، وقيم اقتصادية.

وتعبر عن الاهتمامات العملية ذات الفائدة والنصح والثروة والعمل وقيم جمالية والتي تعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من حيث الشكل والانسجام وقيم سياسية وتهتم بالسلطة والقوة والسيطرة والعمل السياسي، وقيم اجتماعية وتعبر عن اهتمام الفرد بحب الناس والتضحية من أجلهم وقيم دينية⁽⁴⁾ وهي تعبر عن اهتمام الفرد بالمسائل الدينية وميله إلى معرفة ما وراء الطبيعة.

حسب المعتقد: حاول دوكانش تصنيف القيم حسب مقصدها إلى القيم الوسييلية والتي ينظر إليها الأفراد والجماعات على أنها وسائل لغايات ابعدها، كالقيم الأخلاقية والكفاءة، والقيم الغائبة وهي الأهداف التي تضعها الجماعات، والأفراد لأنفسها، كالقيم الشخصية والاجتماعية

حسب شدتها: وهي قيم إلزامية تكون ملزمة للجميع من الضروري تنفيذها بالقوة كالقيم الدينية، وقيم مفضلة يشجع المجتمع أفرادها على التمسك بها، ولكنه لا يلزمهم بمراعاتها وقيم مفضلة يشجع المجتمع أفرادها على التمسك بها، ولكنه لا يلزمهم بمراعاتها، وقيم مثالية، وهي التي يحس الفرد بصعوبة تحقيقها بصورة كاملة كالدعوة إلى مقابلة الإساءة بالإحسان⁽⁵⁾

حسب ديمومتها: كالقيم العابرة التي تزول بسعة مثل الموضوعات والبدع والزوات ويقبل عليها المراهق بالدرجة الأولى، ويعتقد أنها ترتبط بالقيم المادية، والقيم الدائمة التي تدوم زمنا طويلا. وتمتد جذورها في أعماق التاريخ ويعتقد أنها ترتبط بالقيم الروحية.

حسب تاريخها: وتنقسم إلى قسمين تقليدية أصلية وتتواجد لدى الشباب ذوي الشخصيات الموجهة نحو الآخرين والشخصيات التقليدية، وقيم مثقلة وعصرية وتتواجد لدى الشباب ذوي الشخصيات الموجهة في الذات

حسب الوظائف: كالقيم الاف. والسياسية، والدينية،.. الخ. بمعنى ربط كل قيمة بنظام اجتماعي. معين كما فعل دوركايم:

وظائف القيم:

- تعمل القيم على أداء عدة وظائف يمكن إجمالها كالتالي:
- 1- تعمل كمعيار لتوجيه القول والفعل والسلوك الصادر عن الأفراد في المواقف المختلفة
- 2- الوصول إلى التكامل أو التضامن في المجتمع، من خلال نسق القيمة العامة التي تعطي شرعية المصالح الأهداف الجمعية وتحدد المسؤولية.
- 3- للقيم دور كبير في بناء الشخصية الفردية
- 4- تعمل على تنظيم المجتمع وضبطه واستمراره، وتحافظ على البناء الاجتماعي.
- 5- تعمل على الحفاظ على هوية المجتمع وثقافته، فلكل مجتمع هويته الثقافية المميزة التي تعمل على الحفاظ عليها.
- 6- المساعدة على التكيف مع الأوضاع المستجدة للفرد

7- تساعد في حل الصراعات واتخاذ القرارات، ذلك أن القيم هي مجموعة من المبادئ التي يتعلمها الفرد لتساعده على الاختيار بين البدائل المختلفة وحل الصراعات، واتخاذ القرارات في المواقف التي تواجهه⁽⁶⁾.

مصادر القيم:

1- الدين:

من المعروف أن ظهور أي دين ساهي يؤدي إلى تغيرات كبيرة في المجتمع الذي يظهر فيه، حيث يقوم بتغيير كل القيم السلبية وإحلال القيم الإيجابية معلماً، والمتمثلة في الناذج الحيرة والقواعد الأخلاقية التي تعكس قيم السماء الموجودة في الأديان الرئيسية الثلاث التي كان لها الأثر الكبير في تغيير المجتمع الإنساني منذ بدء الخليقة وحتى الآن توجت بخاتم الأديان وهو الدين الإسلامي الذي ألغى قيم الجاهلية وأخلاقها الفاسدة الغارقة في ظلمات الشرك والعبودية.

فالدين له تأثير كبير في توجيه الإنسان وتهيئة طاقاته لمواجهة متغيرات الحياة والتقدم نحو المثل العليا ولقد اعترف علماء الاجتماع بأثر الدين والعبادة في تغيير المجتمع نحو الأفضل ويعد أنه أداة مهمة في ضبط المجتمع.

لذا فإن المجتمعات تستمد فيها الرئيسية من الدين الري تعتق تلك المجتمعات وتتخذ القيم الدينية قاعدة رئيسية لها وللإنسان التي يتضمنها بناؤها الاجتماعي. وهي أيضاً ترتبط بصورة لا تقبل التناقض مع القيم المجتمعية المتوارثة عبر الأجيال فالقيم الدينية ليست قيماً مطلقة وحسب بل هي قيم إنسانية هي تهدف إلى النمو بمكانة الناس أفراداً وجماعات وإن الدين هو حصن من الأخلاق وأنه المصدر الأساسي لا من الجماعة.

يرى دوركايم أن الدين مصدر كل ما نعرف من ثقافة عليا وأنه منبع كل الأشكال الثقافية المثالية⁽⁷⁾.

وشمولية القيم الدينية جعلتها تتناول أنماط السلوك كافة وكل جوانب الحياة اليومية بصورة متسقة ومنظمة وترتكز على أخلاقيات عامة موجودة في الديانات السماوية كافة ولو تتبعنا قيمنا الاجتماعية لوجدنا ما هي نفسها القيم الدينية أو قريبة جد منها، والقيم الدينية أصلية ولا تتبدل ومنها يتم اقتباس القيم الاجتماعية. التي تتناقل عبر الأجيال مع الأخذ بالتطورات التي تطرأ عليها بسبب حركة التغيير في المجتمعات وما ينجم عنها من تطورات عبر الزمن.

أما القيم في المجتمع المسلم فهي قيم أصلية مصدرها القرآن والسنة تتصف بالثبات وذلك لثبات مصدرها فهي ليست مجالاً للتبدل والتغير، وما تلاحظه من تغير واقع في المجتمعات بعد مخالفة لتلك القيم وعدم التزام بمبادئها

2- المجتمع:

لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية ثقافة خاصة به، تنتقل عبر الأجيال، فيما ارثه الحضاري وتاريخه وعاداته وتقاليد وقيمه، هذه الثقافة تحمل في طياتها قيم هذا المجتمع، وقيم المجتمع تستمد غالباً من الدين الذي يعد المصدر الأساسي لثقافة المجتمع.

إن ثقافة المجتمع في مصدر حيوي لقيم أفراد الذين يشعرون فيه ويعيشون، ومصدر القيم هو تاريخ الجماعة الذي تنقله عن طريق التربية من جيل لآخر، فكل جميل يعلم الذي يليه أساسيات القيم الاجتماعية بما يكون قد نالها على يديه من تعد كل نتيجة لظروفه وخبراته الخاصة

يرى العديد من علماء الاجتماع أن المجتمع هو المنبع الرئيسي للقيم وعلى رأس أصحاب هذا الاتجاه دوركايم⁽⁸⁾ حيث يرفض كلا من الاعتقاد وبأن القيمة خاصة باطنية في الشيء تؤثر في الذات والقول بأن الذات هي التي تخلع القيمة على الشيء ويرد القيمة إلى الفكر الجمعي الذي يغير كل شيء يمسّه ويتصل به، وهكذا يحل دوركايم هذا التعارض برد القيم إلى المجتمعات الإنسانية فمادامت المثل العليا ونسقات القيم المطابقة لما تتباين في المجتمعات البشرية إذ لا بد أن تكون ثمة أصل جمعي للثلاثين معاً.

إن المجتمع لديه وكلاء عديدون يقومون بعملية نقل قيمه وهذه الوكالات تتمثل في مؤسساته التي تكون منها المجتمع ومن أبرزها المدرسة، الأسرة، وسائل الإعلام الخ. حيث تقوم هذه المؤسسات بالنيابة بنقل كل ما يملك المجتمع من تراكبات حضارية وتاريخية إلى أبنائه ومن ضمن هذا كله قيمه الأساسية وبذلك تكون وسيط بين الفرد والمجتمع في عملية النقل هذه.

3- الأسرة:

إن صلة الجنين بأهله والتي كانت قائمة بجبل سري بيلوجي تعود بعد الولادة بجبل سري حديد يربطه بالمجتمع وهو الأسرة، إذ يتغذى الوليد عبر هذا الجبل السري الرمزي المتعدد القنوات بالغذاء والحاجات النفسية والاجتماعية والحضارية عموماً، إذ تضخ الأسرة إلى وليدها قيماً سلوكية واجتماعية واتجاهات مختلفة تعتقد بأنها ستتمكن من أن يحيا بتوافق مع مجتمعه وبيئته.

وتمارس الأسرة عملية زرع القيم لدى أبنائها منذ صغرهم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية إذ أن القيم لا تنتقل بالوراثة البيولوجية بل تنتقل عن طريق الوراثة الاجتماعية أي عملية التنشئة الاجتماعية والتي تعني تربية الفرد والمدايرة، ليكون فرد صالحاً متوافقاً مع معايير مجتمعه وثقافته وقيمه فالأسرة تصنع من الطين فخار والطفل المولود حديثاً مثل الطين قد يكون ناعماً أو خشناً من السهل أو الصعب تشكيله بسبب خصائصه الكامنة التي تجعله مادة جيدة أو رديئة وظيفتها محاولة تشكيله بحيث يصبح فرد يرهن عنه المجتمع، وعلاقة الأسرة بالمجتمع هي علاقة وثيقة جداً⁽⁹⁾، فالأسرة هي أساس المجتمع وأساس تكوينه بل هي أساس مصغر بحد ذاته لذا تعد من أهم الأركان التي يعتمد عليها المجتمع في تنشئة وتطبيع الأبناء ويحدد كل مجتمع قيمه ومعاييرها التي تمثل خلاصة التراث الثقافي لتاريخ في هذا المجتمع وعن طريق الأسرة تنتقل هذه القيم إلى الجيل الناشئ

وكل مجتمع يركز على نسق من القيم يسوده ويتحكم فيه وأكثر الوحدات تأثر وتأثير في هذا النسق هي الأسرة ولا سيما أن أهم واجباتها هي تنشئة الأعضاء الجدد في الأسرة اتجاه هذا النسق الذي يضع أمام الأسرة ككل أو أمام أعضائها المستويات المختلفة أو المسموح به في الداخل أو الخارج، وبما أن الأسرة تهتم باتساق سلوكها فإنها تتجاهد في الإبقاء على علاقة إيجابية مع كل القيم السائدة الأمر الذي تبدو معه الأسرة وحدة محافظة، إن الأسرة هي المنبع الرئيسي لذلك الجدول الصغير، الفرد الذي كسب فيه روافد عديدة لكي يكتمل مجراه ومن ثمة يصب في البحر الكبير، المجتمع فهي المكان الذي ينشأ فيه الفرد تنشأته، فالأسرة هي المصدر والحاضر الأساسي الذي يربح الفرد منذ أن يكون جنيناً ينشأ ويتربص لتسليمه في تنشئته مؤسسات أخرى.

وتنقسم عملية تزويد الفرد بالقيم عن طريق التنشئة إلى مراحل تنفي الأولى منها بدخوله إلى المدرسة للأسرة في تنشئة الفرد

4- المدرسة:

تقوم المدرسة بدور كبير في الحياة الاجتماعية لدى الأبناء كافة، فهذه المؤسسة الاجتماعية المهمة يمر أكثر أفراد المجتمع ويقضي فيها مرحلة ليست بالقصيرة من حياته مكتسب فيها العديد من الخبرات والمهارات والاتجاهات والقيم وغيرها من مقومات بناء الشخصية، ففي المدرسة تبدأ المرحلة الثانية لعملية التنشئة الاجتماعية حيث يدخل الفرد عالماً جديداً ونمطاً جديداً من التربية والتزود بالخبرات وتعد المدرسة امتداداً وظيفياً للأسرة من حيث تنظيمها الخبرات وعمليات اجتماعية وعقلية ومعيارية تقوم على أساس ما أقامته الأسرة وتزيد عليه.

وفي المدرسة يتعرض الفرد إلى عدة مؤثرات تسهم في إغناء قيمة الاجتماعية التي اكتسبها من محيط الأسرة قبل دخوله المدرسة فهو يتعرض على أطفال غرباء من نفس الفئة العمرية، كما أنه يتعرض لمناهج دراسية تحمل مختلف القيم فضلاً عن الدور الكبير الذي يقوم به المعلم في عملية نقل القيم وغرسها⁽¹⁰⁾.

داخل المدرسة يعد المعلم قدوة يقتدى بها الطالب بعد الوالدين والإخوة الكبار، وتشترك المدرسة مع باقي المؤسسات الاجتماعية في تحمل مسؤولية عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد وتجهيزهم للحياة العلمية فهي تتبع أساليب تعمل على إنجاح عملية التنشئة منها دعم القيم السائدة بطريق مباشر مريح في مناهج الدراسة وممارسة السلطة المدرسية في تعليم القيم والاتجاهات الاجتماعية بالنواب والعقاب. ولا بد للمدرسة إن أرادت أن تخرج للمجتمع مواطناً صالحاً يحسن التكيف مع بيئته ويعمل على ترقية مستوى الحياة فيها أن تزوده بالمبول المرغوب فيها والاتجاهات الصالحة والقيم التي اتفقت عليها الجماعة لان التلميذ يأتي إلى المدرسة باتجاهات وميول وقيم بعضها غير مرغوب فيه فيضيف هذا عبئاً آخر على المدرسة وهو العمل على تعديل هذه الاتجاهات والقيم.

5- جماعة الأقران:

يبرز دور الجماعة الأقران في الظهور عند ما يدخل الطفل إلى المدرسة ويحتك بأقرانه من نفس العمر ويتعرف إلى أصدقاء ويكون معهم أول جماعة يربط بها بعد الأسرة، ومع تقدم الطفل في العمر يكون جماعات متعددة منها في المنطقة السكنية ومنها في المدرسة ومنها

مع أبناء الأقارب، وتمارس جماعة دورها في تزويد أعضائها بالقيم تبعاً لما يحملها أعضاؤها من قيم وعلى الأكثر لا تتعارض هذه القيم مع القيم التي يكتسبها الفرد من أسرته.

ويكون الطفل في الأسرة والمدرسة متابعة لآبائه ومدرسية ويكتسب في جماعة الرفاق أول خبرة ضرورية تتعلق بالمساواة وتكافؤ الجماعة وأعضائها على سلوكهم المناسب أو الذي يتفق مع القيم يمنحهم الاهتمام أو الموافقة أو الزعامة ونتيجة القيام بما تمثله ثقافات فرعية يحددها العمر الزمني بدور تربوي هام في تدعيم القيم التي يسعى إليها المجتمع فتكوينها يسمح بإمكانية الحوار من دون خوف أو خشية سلطة ما كان أن تقارب السن والمستويات الاقتصادية والاجتماعية يكون عاملاً أساسياً في تكوين قيم مشتركة توجه سلوكيات كل الأقران ومن هنا كانت أهمية الاهتمام بهم كمجموعة تشارك في غرس القيم.

وبذلك فإن جماعة الأقران تقوم بدور لا يستهان به في حياة أبناء المجتمع ولا سيما الناشئة والأطفال إذ أنها تسهم في غرس النسق القيمي لأعضائها وتدعيمه ومعالجة الظروف التي يقع فيها أعضاؤها نتيجة تعارض القيم أحياناً حيث يتضح ذلك من خلال نتائج إحدى الدراسات والتي تقول⁽¹¹⁾: إن التناقض القائم بين ثقافة المجتمع العربي الذي تجسده الأسرة بما تشتمل عليه من قيم وعادات وتقاليد الثقافة التي تتضمنها البرامج والمسلسلات الأجنبية يضعان المراهق في موقف صراع اتجاه مضمون هاتين الثقافتين وهنا تبرر أهمية دور جماعة الأقران في جسم هذا الموقف الصراع الذي يتعرض له المراهق

6- وسائل الإعلام:

بعد الثورة الهائلة التي حققتها الاتصالات اتسع نطاق تأثير وسائل الإعلام على نواحي المجتمع كافة وأصبح لها دور مهم في المجتمع إلى درجة خصصت الحكومات معها أقساماً ودوائر ووزارات للإعلام تتولى تصييق أهداف داخلية وخارجية عن طريق تلك الوسائل. ومن بين الأهداف الداخلية رفع مستوى ثقافة الشعب وحسن أداء أفرادهم وإكسابهم القيم الاجتماعية المرغوبة، إن وسائل التنشئة الاجتماعية للأفراد وينبغي أن ندرك أن بناء الإنسان في أي مجتمع من المجتمعات وإن كان وظيفته إعلامية معاصرة إلا أن روافد عديدة تشارك الإعلام عملية البناء هذه تبدأ بالأسرة الصغيرة وما يتلقاه الطفل فيها من قيم وسلوك وبالميراث الحضاري للأمة التي ينتمي إليها الفرد.

كما أن المضمون الاجتماعي لوسائل الإعلام يعني تنشئة الفرد وتنشئة متسقة مع أهداف المجتمع ومثله وقيمه حيث تنقل المعارف والقيم والمعايير والتقاليد الاجتماعية من جيل إلى جيل والتعريف بما يجسد الهدف التعليمي والاجتماعي والتربوي لوسائل الإعلام⁽¹²⁾. وتختلف المجتمعات بعضها عن البعض الآخر بغزارة أو سطحية ثقافتها وتنقل الثقافة إلى الأفراد عبر العوامل المختلفة للتنشئة الاجتماعية ووسائل الإعلام دور مهم في نقل الثقافة إلى الأفراد عن مجتمعاتهم والمجتمعات الأخرى ويكون للإعلام دور أخطر في البلدان النامية والدول التي تتحدد ثقافتها بحدودها الجغرافية.

أما في المجتمع الحديث فتقوم وسائل الإعلام بعملية التنشئة الاجتماعية بصورة موازية لما تقوم به المؤسسات الأخرى إن لم تتفوق عليها ولا سيما في عالم متغير كعالمنا الذي تكثر فيه الأحداث وتتسارع وما يزيد فعالية دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية وهو الوقت المتزايد الذي يكرسه المرء لها.

ويعد الإعلام مؤسسة تعليمية مستمرة مشرعة الأبواب تتلمذ على تعاليمها الكبار والصغار وتعليمهم المعرفة لكل حالة علاقة بالقيم الوطنية والقومية والتراثية والعادات الاجتماعية وغيرها.

أزمة القيم:

تختلف القيم في معانيها ومصدرها وأنواعها فما يعد ذا قيمة في مجتمع ما لا يعتبر في مجتمع آخر كذلك، أولاً يحمل القيمة نفسها. فالقيمة في الفلسفة لا تعطي المعنى نفسه في الاقتصاد أو في علم الاجتماع أو في علم النفس.

فقد انقل معناها أي القيم من الدلالة المادية إلى المدلول المعنوي المجازي ولم يلبث هذا الأخير أن اخذ مضمونه الخاص من كل حقل من حقول المعرفة، فهناك القيم الغائبة المطلقة التي يعني بها الفيلسوف الأخلاقي وهناك القيم النسبية الواسطية التي بها عالم الاجتماع وهناك القيم الحقيقية والاعتبارية التي يعني بها عالم المنطق وهناك القيم التبادلية والنفعية التي يعني بها عالم الاقتصاد وهناك تصنيف القيم أيضاً إلى الاجتماعية وفكرية وروحية وجمالية وهلم جرا⁽¹³⁾

فهناك اختلاف حول تحديد هذا المفهوم أي (القيم) ولكن ما يلاحظ أيضاً أن ثمة عناصر مشتركة تتردد فيها، فالقيم هي بمثابة معايير اجتماعية للسلوك الإنساني تحدد الصواب من الخطأ وتحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه⁽¹⁴⁾ وهي معيار للضبط الاجتماعي وموجات للسلوك الفردي، وهي ليست صفات مجردة أو نظرية، وإنما يتم ترجمتها إلى سلوكيات وتفاعلات بين أفراد المجتمع، لما حظ من الثبات، وتخضع للتغيير فهي ظاهرة اجتماعية وثقافية تخضع لعملية التنشئة الاجتماعية وتتأثر بها وبين تواجد نستقن من القيم التنسيق الإسلامي والنسق الغربي مجالات واسعة من التفاصيل والفروع والجزئيات تستوجب التحليل والمقارنة، وتتقاضى في كثير من الأحيان هو الذي يفسر أزمة القيم بالنسبة لعالمنا الإسلامي في سياق التحولات الحضارية المعاصرة.

ولعل المعاناة النفسية والأخلاقية للتجزئة والتناقض اللذان يمزقان وحدة الإنسان المعاصر، تتجلى خاصة في المجتمعات الإسلامية لأنها تعيش هذه التناقضات التي يفرزها التحول الحضاري الذي يأخذ بالنسبة لها بعدين: البعد الأول تعاني فيه ازدواجية القيم بين ثقافتها الأصلية وبين الثقافة الحديثة البعد الثاني تعاني فيه تناقضات الحضارة الغربية نفسها فهي تتراوح بين قيم الحداثة وبين قيم العقيدة⁽¹⁵⁾ فمن كلا النظريتين المتقابلتين النظرة الروحية والنظرة المحادية تتبع قيم ومعايير توزن بها أخلاق الأفراد والجماعات وتشكل نظاماً ثقافياً وحضارياً وتظل القيم التي ينشدها هؤلاء وأولئك موضوع اخذ ورد بين المفكرين والفلاسفة كما تظل التساؤلات عنها من أخطر التساؤلات لأنها تسعى لاكتشاف هوية الإنسان الوجودية وتقيم على أساسها قيمة السلوكية.

فأزمة القيم تتداخل مع التحولات المتسارعة المضطربة إلى العولمة التي ستضعف دور المجتمع الإسلامي في هذا العالم، إذ سينزعها احتضانها وسلطانها عامل جديد يركز على عولمة الاقتصاد، وإشاعة الإعلام الخاضع للمراقبة، كما في الانترنت⁽¹⁶⁾ وهذا سيهدد القيم الوطنية والثقافية والدينية لدى المجتمعات الإسلامية بوجه عام والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص خاصة وأن هذه الأزمة أي أزمة القيم التي نعيشها نحن اليوم والعالم ككل تمس مختلف ميادين حياتنا ومجالاتها، مما يدعون نحن كباحثين إلى الاهتمام بها والتطرق لها، ك مجال الأسرة ومجال المؤسسات التربوية، والجهاز الإداري ومجال الجهاز القضائي والمؤسسات السياحية والمجال الاقتصادي، والمجال الفكري والروحي.

التواصل الاجتماعي في الجزائر:

من المعلوم أن القيم والتصورات والمواقف وأنماط السلوك ذات طبيعة نسبية في الغالب الأهم وتترسخ في شخصيات الأفراد انطلاقاً من المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية بمختلف قنواتها المعروفة، وفي المجتمعات المعاصرة تطورت آليات هذه التنشئة ووسائلها وصارت أعمق نفاداً إلى النفوس وأكثر تأثيراً في العقول وتوجيهها للسلوكيات، ولعل من أنجحها وأخطرها شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأدواته المتعددة

لقد عاشت الجزائر وغيرها من المجتمعات الحديثة ما يسمى بالثورة المعلوماتية التي أدت إلى إنتاج المعلومات في كافة مجالات الحياة البشرية، حيث أصبحت سلعة وصناعة، خلفت ما يعرف بسوق المعلومات الكونية، والتي يتم فيها تبادل الخدمات والسلع مع الأفكار الإنسانية في أن واحد، ومن ثمة تزداد قدرات الفرد على التعامل مع الآخرين والتأثير عليهم

فمواقع وشبكات التواصل الاجتماعي تعتبر أحد أهم وأبرز مظاهر التواصل الاجتماعية الجديدة، الذي أنتجته وساعدت على ظهوره الانترنت ويمثل التفاعل الاجتماعي في العملية الاتصالية مكانة بارزة عند علماء النفس والاجتماع الذين أولوه اهتمام وأهمية خاصة، واعتبروه أساس العلاقات العامة بين الأفراد وعصب العملية الاتصالية والعمليات الإدراكية والسلوكية، التي تتم بين الأطراف المتصلين.

فقد اتفق علماء الاجتماع على أهمية وسائل الاتصال الجماهيرية في إحداث التغير الاجتماعي، المقصود داخل المجتمع، فلا يمكن أن يحدث تغيير في المجتمع بمعزل عن استخدام وسائل الاتصال الاجتماعية⁽¹⁷⁾، في ظل هذه التحولات والتغيرات غير المسبوقة في ميادين الكشف العلمي أو الإحاطة بالعديد الذي كان مجهولاً من أسرار الكون ونواميسه الضابطة، وتحول كثير من تلك الكشوف من مرحلة العلم النظري الذي لا يحيط به العلماء إلا العلماء والمختصون إلى مرحلة التطبيق العلمي عن طريق مبتكرات صناعية، وتقنيات في إنتاج

السلع وتقديم الخدمات، يستخدمها ويستفيد منها جموع الناس ووصلت آثارها وتأثيرها عبر وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي التي تطورت هي الأخرى عبر سلسلة من الكشوفات العلمية.

فقد شملت هذه الثورة العلمية ووسائل انتقال الأفراد والسلع من ناحية وميدان اتصال بعضهم ببعض فقرا على حواجز الزمان والمكان من ناحية أخرى بعد أن تعاطى الناس من مختلف أنحاء العالم ففتاح هذه الثورة العلمية في صورة وسائل وأدوات ونسجها معايير الاتصال الكامل والسريع⁽¹⁸⁾ وهي أدوات الاتصال الحديث من تلفزيون إلى هاتف محمول سريع التطور، وإلى الشبكات وخزائن المعلومات، تجمعها وترتيبها وتحللها وتضعها جاهزة في كثافة لا سابقة لها في التاريخ الإنساني وفي يد طالبها من أدنى الأرض إلى أقصاها، كل ذلك قبل أن يقوم طالب المعلومة من مكانه.

التحولات الاجتماعية والثقافية في بنية المجتمع الجزائري:

شهد المجتمع الجزائري تطور ملحوظا، خاصة في الفترة المعاصرة يدعو بشكل واضح وكبير إلى إعادة النظر في التحولات القيمة والاجتماعية في بنية مجتمعه ضمن نسق تكامل يتضمن إبعادها السياسية والاجتماعية ودلالاتها السوسولوجية والفكرية. هذا الواقع الذي بات في حاجة إلى إعادة النظر في البنية الفكرية والاجتماعية التي تربط من خلالها الأفكار الفلسفية المجردة بالفضاء اليومي وتطلعاته ضمن رهانات الأحداث، الذي ارتبط بمسائل الهوية وتمسكه بالعلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتقاطع لعدة خطوات في مستويات مختلفة.

1- المستوى القيمي:

من خلال المنظومة القمية والدينية والأخلاقية والجمالية التي شهدت تحولات انعكست على المفاهيم وكذلك على سلم القيم والمعايير التي تحكم العلاقات الأسرية والاجتماعية اذ توارت قيم العمل كالجد والمسؤولية كالإتقان والشرف والأمانة والتسامح والإخاء وغيرها من القيم الإيجابية، وتحولت جميعها إلى قيم سلبية مشوهة كاللامبالاة والمحسوبية والرشوة والتهافت على الثراء المادي بلا جهد ولا عناء، فضلا عن العدوان والعنف وضعف الانتماء الوطني، كما توترت انساق القيم الاجتماعية، بل حدث انقلاب في سلم القيم في المجتمع⁽¹⁹⁾ ما يعكس صورة التغيير في القيم المعاصرة فقد انشغلت القيم عبر مراحل التطور الإنساني بوظيفتين أساسيتين: الوظيفة الأولى: المحافظة على تماسك وحدات التجمع الإنساني ابتداء ثم المجتمع الدولي. الوظيفة الثانية: تحريك النشاط الإنساني وزيادة كفاءته والعمل على تعظيم آثاره ونتائجه. ويمكن تقسيم القيم إلى مجموعتين الأولى هي مجموعة القيم المحافظة والثانية مجموعة القيم المحركة⁽²⁰⁾

2- المستوى الاجتماعي والثقافي:

إن المتتبع لديناميات التفاعل الاجتماعي يستطيع أن يكشف ما طرا من تغيير كي وكيفي في نمط التفاعل وفي المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية لبنية المجتمع الجزائري.

فالتغيير الاجتماعي يتناول كل مقومات الحياة الاجتماعية والنظم العلاقات الإنسانية لبناء الدولة العصرية التي تستند إلى العلم والتكنولوجيا وعصرنا الحالي يتسم بنمو العديد من المتغيرات التي أثرت على سمية المجتمع الجزائري وعلى علاقاته الاجتماعية كالتحول الذي حدث داخل الأسرة أو العائلة الجزائرية. والعلاقة بين الأقارب والجيران مجمل العادات والتقاليد.

أثارت هذه التحولات التي تعرض لها المجتمع الجزائري جدلا واسعا داخل النخب بل صارت موضوع نقاش تخوض فيه العامة، وانقسمت الآراء إلى موقفين اتجاه هذه التحولات اتجاه يعتبر هذه التغيرات أو التحولات إيجابية لأنها تجلب الحرية وتندرج في سياق تحديث المجتمع وربطه بمسار الحضارة والحداثة وإخراجه من التخلف، الهامشية الحضارية، واتجاه ثاني يندد بهذه التحولات التي يعتبرها تشوهات ومعوقات خطيرة أصابت المجتمع⁽²¹⁾. فقد تنصت باب الاضطرابات على حساب دينه وهويته وقيمة الأصلية التي تشكل تاريخه ولحمة نسيجه الاجتماعي، فلم تطور المجتمع بقدر ما مست النظام فقط والسلوكات المستوردة وأنشأت حالة من الانهيار واللاوعي بالحضارة الغربية ولقيها المناقضة في الغالب لتعاليم ديننا الحنيف والمجتمع الجزائري بوجه الخصوص. وانعكس هذا كله على فئة الشباب التي تنشأ اليوم في عمر

تعرضت فيه المجتمعات المحافظة للتغيرات العالمية، في ظل الحضارة المعاصرة والتقدم العلمي والتكنولوجي، الذي يميز أنماط الحياة ووسائلها ومتطلباتها فوق الشباب فريسة للآزمة وصراع بين القيم الموروثة والتقاليد المستوردة، مما أصابهم بالحيرة والقلق والتيه. فهذا الوضع المتباين والمتناقض بين ما هو موروث، وما هو قائم يعرض الشباب إلى أنماط مختلفة من هذه القيم ومرجعيات متباينة، وأحيانا متناقضة. مما يعتقد انه ينعكس على القيم التي يحملها الشباب في تحديد أنماطهم السلوكية واتجاهاتهم وميولهم تجاه بعض القضايا والمواقف⁽²²⁾

فنحن بحاجة إلى ربط نسق القيم المتحركة أكثر في حياتنا بالدينامية الاجتماعية، وبعوامل التأثير فيها كالعلوم والتكنولوجيا المتطورة، من أجل التصدي للمفاهيم الخاطئة والنتائج السلبية وتحرير عقولنا وأخلاقنا من قيم التقليد والتعويق لطاقة الإبداع، كما أننا بحاجة إلى تحليل ظاهرة التدين في الوعي بالنسق الحدائي الذي نحاول تقليده⁽²³⁾ فنحن نتردد بين قيم الإسلام التي لا تمثلها في حياتنا العملية، وبين قيم الثقافة الغربية التي لا تمثلها بنفس الانضباط. ولكننا ندعي الأخذ بها.

الخلاصة:

والخلاصة التي استنتجناها من هذا العرض، هو أننا بحاجة إلى دراسة النسق القيمي الإسلامي الطي تتميز به مجتمعاتنا سواء عقيدة أو قيا اجتماعية، وبحاجة إلى تحليل أثر التحولات على العالم بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة، وما أفرزته العولمة والتطورات التكنولوجية الحاصلة بعدها، خاصة في شبكة التواصل الاجتماعي التي أحدثت انقلاب في المجتمعات الإسلامية فتحوّلت من مجتمعات قبلية قائمة على النسب والمصاهرة أساسا إلى قبائل من نوع جديد تضم كيانات وعائلات يربطها العالم الافتراضي.

الهوامش:

- 1- محمدًا لكتاني، أزمة القيم ودور الأسرة في تطورا المجتمع المعاصر، مطبوعات المملكة المغربية، الرباط، الدورة العربية 2001، ص 89.
- 2- سمير خطاب، التنشئة السياسية والقيم، المكتبة الوطنية، ص 63، 64.
- 3- خليل احمد خليل، مفاتيح العلوم الإنسانية، معجم عربي فرنسي انجليزي، دار الطليعة، بيروت، 1989، ص 342.
- 4- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، ط 2006، ص 23.
- 5- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 29.
- 6- ماجد الزيود، مرجع سابق، ص 26.
- 7- وعد إبراهيم الأمير، دورا لتلفزيون في قيم الأسرة، دار غيناء للنشر والتوزيع، ط 1، ص 69.
- 8- محمد فاروق النهان، اثر القيم الدينية في استقرار الأسرة في المجتمعات الإسلامية، ص 208.
- 9- وعد إبراهيم الأمير، مرجع سابق، ص 72.
- 10- المرجع نفسه، ص 73.
- 11- المرجع نفسه، ص 75.
- 12- محمد زكريا عبد العزيز، التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهق، مركز الإسكندرية للكتاب 2002، ص 128.
- 13- محمد الكتاني، مرجع سابق، ص 90.
- 14- ماجد الزيود، مرجع سابق، ص 23.
- 15- محمد الكتاني، مرجع سابق، ص 99.
- 16- المرجع نفسه، ص 92.
- 17- بن وران بلقاسم، وسائل الإعلام والمجتمع، دراسة في الإبعاد الاجتماعية والمؤسسية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص 42.
- 18- احمد كمال أبو المجد، أزمة القيم وأثرها على الأسرة العربية والمسلمة، مطبوعات المملكة المغربية، الرباط ص 108.
- 19- طاهر بوشلوش، التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثارها على القيم الاجتماعية الجزائرية، دار بن مرابط، الجزائر، ط 1، ص 21.
- 20- احمد كمال أبو المجد، مرجع سابق، ص 115.
- 21- ماجد الزيود، مرجع سابق، ص 24.
- 22- مرجع نفسه، ص 75.